١٠ قصائد لماوتسي تونغ

ترجمة صالح الدحان

« عندما نترجم قصيدة ما الى لغة اخرى ـ مهما كانت درجة جودة الترجمة عالية ـ يشعر القارىء بفقدان الايقاع والتفعيلة والجرس الموسيقي ، من الاصل . لهذا السبب درس بروسبير ميريميه Prosper Mérimée اللغة الروسية كي يستطيع قراءة اشعار بوشكين من الاصل . وطبعا فان كل قارىء ليس بـ « ميريميه » ، ولذلك فاننا كي نستمتع بالشعر الاجنبي ، يلزمنا الاعتماد على الترجمات. غير ان ترجمة الشعر مهمة شاقة لا يحمد صاحبها عليها خاصة اذا كانت اللغتان المعنيتان تختلفان كما هو الحال عند الصينية والانكليزية (ثالثة الاثافي هي ان تكون الترجمة من نص مترجم هو الاخر وليس من النص الاصلي كما هو الحال بالنسبة للقصائد التالية التي قمت بترجمتها عن الانكليزية التي نرجمت عن الاصل الصيني ـ المترجم) . وان اكثر المترجمين حنكة سينوجب عليه ان ينحي جانبا شيئا ما ، هو على وجه الخصوص الايقاع والقافية ، من الاصل » .

بهذه الفقرة استهل الكاتب تسوتغ شو (احد المحررين في مجلة الادب الصيني) مقالته عن « النظم الصيني الكلاسيكي » ، في العدد الخامس من المجلة المذكورة لهذا العام . ولقد جاء هذا المقال في نفس العدد الذي حمل الى القراء ، لاول مرة باللغة الانكليزية ، النص الكامل لعشر قصائد ـ لم يسبق نشرها بلغة اجنبية ـ للرئيس ماوتسي تونغ (كان الكاتب كان يشير الى الترجمة الانكليزية بطريقة غير مباشرة) ، والتي كانت « دار الادب الشعبي » و « دار نشر المؤلفات الثقافية » في بكين قد أصدرتها ضمن مجموعة « قصائد ماوتسي تونغ » التي تحوي ٣٧ قصيدة وذلك في مطلع عام ١٩٦٤ . ولقد قمت بترجمة القصائد العشر المذكورة الى اللغة العربية مستعينا بالنص الانكليزي ، ولكني لاسباب محض فنية قررت تأجيل ثلاث منها هي « ارتقاء جبل لوشان » و « أغنية الى زهرة الخوخ » و « جواب الى كوموجو » (غير القصيدة التي تحمل نفس هذا العنوان والموجودة ضمن القصائد السبع المنشورة هنا) ، وسأنشرها قريبا بعد استيفاء ترجمة مقال شارح لبعضها كتبه الشاعر كوموجو .

وقبل الدخول الى القصائد ، أحب أن أوضح بعض النقاط :

١ ـ لقد التزمت النص الانكليزي التزاما كاملا ولم أتخل عنه الا من حيث الصياغة (نادرا) وتنسيق الابيات .

٢ ـ ان هذا النص ليس رسميا البتة وهو أول محاولة أولية (نرجو ان تعقبها محاولات أخرى) لترجمة تلك القصائد الى العربية . ويمكن اعتبار النص ، في أسوأ الاحوال ، نصا مترجما بتصرف .

٣ ـ ان الشروح ليست للشاعر وانما لمجلة « الادب الصيني » باستثناء ما ذكر على انه لي .

وبعد ،

ثمة أمران يجب ان يقالا في هذه العجالة :

الاول يختص بالشاعر وهو انه ظل لفترة من السنين يرفض نشر شعره الذي يرى فيه أسلوبا لا يجب على الشعراء الشباب في الصين ان يقلدوه لانه جد معقد وجد مجهد وجد قديم . ولكن « الضغط » حاصر ماو من كل جهة فلم يجد بدا من « الرضوخ » ، وهكذا نشر في يناير ١٩٥٧ (لاول مرة باللغة الصينية) ١٨ قصيدة في مجلة « الشعر » الصينية والتي أرسلها الى المحرر مشفوعة برسالة يقول فيها ما معناه انه لا يعتبر القصائد شعرا ولا يريد من أحد ان يقلد هذا الاسلوب الشعري لانه ليس عمليا ولكنه يرسلها الى المحرر بناء على الحاحه مع حريته في تعديلها كما شاء .

أسمطيع أن أؤكد للادباء العرب ان الوف الشعراء في الصين لم يأخذوا ـ لاول مرة ـ بنصيحة ماو هذه غير انهم اصطدموا بالفشل في محاكاته في طريقة النظم وأسلوب الصياغة واستخدام الرموز والتعابير والاساطير واضفاء طابع وطني موح على القصيدة . وان قصائده قد تتصف بكل شيء الا الغموض والسطحية واللاشعبية ، ذلك انها صورت لوحات فنية وصيغت أناشيد وطنية وكتبت شعارات ورنم ويترنم بها المواطنون العاديون ناهيك عن المثقفين . وليس هذا فقط ، بل ان خصومه الالداء في تايوان ، الذين يمثلون فلول شيانغ كاي شيك ، يقولون عنه انه أعظم شاعر صيني في العصر الحديث .

اما الامر الثاني فيختص بالترجمة . وفي هذا الصدد أطلب من القارىء أن يعود الى قراءة الفقرة التي صدرت بها هذه المقدمة لعله يشفع لي بأي تقصير أو عجز . وان غاية ما أتمناه هو ان تسهم هذه القصائد في اغناء محتوى الشعر العربي الحديث ، ولنا الى موضوع « الشعر الصيني الحديث » عودة قريبة .

بكين ـ صالح الدحان

٥ ـ ٥ ـ ١٩٦٦

استيلاء جيش التحرير الشعبي على نانكين (١)

يجتاح ذرى تشونغشان اعصار ،
هو لهفة جيشنا الجبار ،
قوامه المليون تعبر النهر العظيم .
والمدينة ، هذا النمر الرابض .. هذا التنين المتجعد (١) ..
تبدي أمجادها الغابرة .
لقد قلب النصر العظيم ، السماوات والارض .
ومن أجل البقاء ، علينا ان نطارد العدو المترنح بعنف
وليس بمعايرة الفاتح سيانغ يو (٢) طلبا لشهرة عقيمة .
ورغم رهافة حس الطبيعة ، فانها ستشيب بعد شباب ،
الا عالم الانسان فان البحار فيه تتحول الى حقول توت (٣) .

ابريل (نيسان) ١٩٤٩

شاوشان (٤) ثانية

تمت الزيارة في ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٥٩
بعد غيبة دامت اثنين وثلاثين عاما

بعد انقضاء اثنتين وثلاثين سنة على مسقط راسي ،
وكانبعاث الحلم الباهت ـ لعنت الماضي الذي لن يعود .
العلم الاحمر أنهض القن حاملا الصاقور ،
بينا براثن المستبد السوداء كانت ترفع السوط عاليا .
ان مرارة التضحية تمتن العزم المصمم
ذاك الذي يقدم على جعل الشموس والاقمار

تثير في سماوات جديدة .
وسعيدا هاأنذا أرى
موجة اثر اخرى
من غلال الرز والحنطة
ومفاوير في كل مكان يلازمون مواقعهم في المساء المضب .

. يونيو (حزيران) ١٩٥٩

جواب الى صديق

فوق ذرى تشيويي تبحر سحب بيضاء ،
وعلى متن الرياح ، تهبط الاميرتان الجبال الخضراء .
ذات مرة ، رفطن الخيزران (٥) ببحر من دموع ،
أما الان فها هي حللهن الوضاءة
ترفل في السحب الوردية الحمراء .
أمواج بحيرة تونغتين (٦) المتوجة بالثلوج
تجيش باتجاه السماء
فتتجاوب معها الجزيرة الطويلة (٦) بأغنية مدمدمة .
وأنا ضائع في أحلام .. أحلام لا تحد ،
عن أرض الخطميات (٧) توجها شمس الصباح .

١٩٦١

نساء الميليشيا

في ساحة العرض المضاءة بأولى خيوط النهار ،
كم يبدين وضاءات وشجاعات وهن
يمتشقن
بنادق أطول من
قاماتهن (٨)
ان لبنات الصين عقولا جد طموحة
لانهن يولعن ببزاتهن وليس بالحرائر والاطالس

فبراير (شباط) ١٩٦١

كهف الحريـــــة (٩)

تقريظ على صورة التقطتها الرفيقة لي تشين

وسط رؤى الفسق النامي تقف صنوبرات عاتية ،
وتمور السحب الهائمة : رشيقة وقريرة .
في كهف الحورية ، أبرزت الطبيعة نفسها ،
وعلى الذرى الشماء يرتاح جمال لا حد لتنوعه .

٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٦١

غيـوم الشتـاء

غيوم الشتاء مثقلة بالثلوج ، وعهون القطن منفوشة ،
وليست هي نادرة أو قليلة ، الزهور التي لم تسقط .
الامواج الصاعقة تكتسح السماوات الصبة ،
ومع ذلك يزداد نفس الارض حرة .
الصناديد وحسب يقوون على سحق النمور والابارد ،
والشجاع لا تفزعه ، اطلاقا ، الدببة البرية :
أزهار الخوخ تهش لدوامة الثلوج ،
بينا الذبابات العابرة تتجمد وتضمحل .

٢٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٢

ماوتسي تونغ

رد الـى الرفيـــق كـوموجو (١٠)

ـ على ايقاع : مان تشيانغ هونغ

على هذا العالم الصغير ،
بضع ذباب ترطم أجسادها بالسور ،
تطن بلا انقطاع ،
أحيانا تصرصر ،
وطورا تنوح .
النمل على شجـرة الخرنوب (١١)
ينتحل خيلاء الامـــة الكبرى (١١)
وذباب مايو يتآمر بهمة على تطويح الشجرة العملاقة (١٢)
الريح الغربية تنثر الاوراق على تشانغان (١٣)
وتمرق السهام مولولة .

***

أعمال جد كثيرة تصرخ طالبة الانجاز ،
ودوما هي ملحاحة .
العالم يسير
والوقت عسير .
ان عشرة الاف عام لزمن جد طويل ،
فافترص اليوم واغتنم الساعة !
البحار الاربعة محتدمة والسحب والمياه ثائرة ،
القارات الخمس ترتج والريح والرعد يزمجران .
سحقا لكل الحشرات !
فقوتنا لا تنكفىء .

٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣

قصيـــدة كوموجـــو

ـ على ايقاع : مان تشيانغ هونغ

عندما تكون البحار في هيشة
يحافظ الابطال على رباطة جأشهم .

أن ستمائة مليون مواطن
في وحدة راسخة
وعلى مبدأ لا يتزعزع ،
بامكانهم أن يقيلوا السماوات من السقوط
ويخلقون نظاما من الفوضى .
العالم يصيخ لصياح الديكة
ومن الشرق ينبلج النهار .
الشمس تشرق ،
وطوافي الثلوج تذوب وتنساب .
ولان الذهب ليس بالزنك
فان بمقدوره الصمود لامتحان النيران .
أربعة مجلدات عظيمة (١٤)
ترينا الطريق .
ولكم هو سخيف أن ينبح كلب تشيبيه على ياو (١٥)
فالثور الطفلي يخوض اليم ويضمحل (١٦)
بينا راية الثورة الحمراء تخفق في الريح الشرقية
والعالم حمرة متأججة .

ترجمة : صالح الدحان
بكين — مايو ١٩٦٦

ملاحظـــات

١ — نانكين : كانت العاصمة الوطنية للصين عدة مرات وكانت مقر حكم الكومينتانغ الرجعي . أما جبـــل تشونغشان فيجثم في شرق المدينة . ولقد شبههما الكتاب الكلاسيكيـــون (في الصين) بـ « نمر رابض » و « تنين متجعد » .

٢ — الفاتح : لقب خلعه على نفسه بنفسه ، سيانغ يو ، قائد قوة فلاحية كبيرة ضد أسرة التشين المالكة في القرن الثالث ق.م. . ورغبة منه في اظهار نفسه بمظهر المتسامح ، لم يقتل منافسه ليوبانغ عندمـا سنحت له الفرصة بذلك . وفي النهاية هزمه ليوبانغ فانتحر .

٣ — البحار تتحول الى حقول توت : طبقا لاقصوصة صينية قديمة، عاشت امرأة ما لردح طويل من الزمن بحيث شاهـــدت ، لعدة مرات ، البحار تجف وتتحول الى حقول مغطاة باشجار التوت .

٤ — شاوشان : مسقط رأس الشاعر في مقاطعة خونان .

٥ — الخيزران المرقط : زوّج الامبراطور الاسطوري ، ياو ، بنتيه الى شون الذي خلفه على العرش . وعندما مات شون في (مقاطعـة) خونان ، قبر في جبل تشيويي وبكته الاميرتان امام قبره بقرب غيضة خيزران ، فتركت دموعهما بقعا لا تزول على الخيزرانات . ومن هنـــا جاء (تعبير) « الخيزران المرقط » في خونان .

٦ — بحيرة تونغتين : تقع في خونان . اما « الجزيّرة الطويلة » التي تسمى أيضا بـ « جزيرة البرتقال » فتقع على نهر سيانغ الـــذي ترتاح عليه تشانغشا ، حاضرة مقاطعة خونان .

٧ — أرض الخطميات : اسم شاعري لمقاطعة خونان .

٨ — أطول من قامتهن : في النص الانكليزي — اذا ترجم حرفيا — « بنادق طول كل منها خمسة أقدام » ، لذلك فقد فضلت ترجمتها ، تجنبا للابتذال والحرفية والضحالة ، بما تقصده أساسا (المترجم) .

٩ — كهف الحورية : منظر طبيعي في جبل لوشان .

١٠ — يبدو أن الشاعر ، في هذه القصيدة ، يركز الهجـوم على من يسمون في الحركة الشيوعية العالمية بـ « المحرفون المعاصرون » أو بعبارة أخرى ، قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . يرجى ملاحظة الرموز بامعان وتاريخ كتابة القصيدة ، والذي يقع ضمن الفترة التي كانت فيها الدعاية السوفيانية — في عهد خروتشوف — تصب هجوما ضاريا عـلى شخصية ماوتسي تونغ ، وتتهمه بالديكتاتورية وتتهم الحزب الشيـوعي الصيني بممارسة عبادة الفرد (المترجم) .

١١ — في القصة القصيرة « والى القسم الجنوبي » التي كتبها لي كونغ تسو ، كاتب في عهد أسرة التانغ المالكة ، ذكر ان رجـــلا كان غافيا تحت خرنوبة ، فحلم انه تزوج بأميرة من مملكة الخرنوب العظمى وانه عين واليا على القسم الجنوبي (من المملكة) . وعندما صحا مـــن غفوته ، وجد أن المملكة هي تجويف للنمل تحت الشجرة . (ملاحظـــة اضافية من المترجم : تعبير « خيلاء الامة الكبرى » يرادف الاصطـلاح السياسي « شوفينية الدولة الكبرى » الذي يستعمله الصينيون فـي هجومهم على قيادة الحزب الشيوعي الســـوفياتي ويحذرون الشعب الصيني من التساور به) .

١٢ — في احدى قصائده ، شبه الشاعر هان يو (٧٦٨ — ٨٢٤) ، كاتب بارز في عهد أسرة التانغ المالكة ، شبه — متهكما — الذين يغـالون في تقييم أنفسهم بـ « ذباب مايو الـــذي يحاول التطويح بالشجـــرة العمـــلاقة » .

١٣ — تورية للبيتين الشهيرين للشاعر تشياتاو (٧٧٩ — ٨٤٣) ، شاعر في عهد أسرة التانغ المالكة ، وهما :

الريح الغربية تجتاح مياه وي
وفي كل مكان من تشانغان تتساقط الاوراق

قصيدة كوموجو :

١٤ — اربعة مجلدات عظيمة : يقصد بها المؤلفات المختارة لماوتسي تونغ التي تقع في اربعة مجلدات .

١٥ — كان الملك تشيبيه مستبدا غشوما والامبراطور ياو حاكما جوادا. اما « كلب تشيبيه... الخ » فتشير الى مثل صيني قديم يقول : « بصوت من سيده ، ينبح كلب تشيبيه على ياو » .

١٦ — الثور الطفلي : اشارة الى الامبـــريالة التي شبهها لينين بـ « عمـــلاق له قدمان من طين » وماوتسي تونـغ بـ « نمر مـــن ورق » (المترجم) .

طالعوا كـل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الاديـــب

الحكمـــة

العرفـــان

العلـــوم

فهي تحمل اليكم النتاج الفكـري الرصين

والابحاث القيمة باقلام خيرة الكتاب والادبـاء